قصة آية

15

وفد نجران وجداله مع النبي ﷺ

صلى الله عليه وسلم

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد

إشراف : أ. حمدي مصطفى

طبع ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

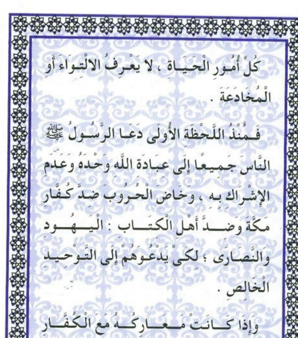
وفد نجران وجداله مع النبي ﷺ
صلى الله عليه وسلم

قال (تعالى) :

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ
بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن
قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ
عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾

[سورة آل عمران : ١ ـ ٤]

بَعْدَ أَنْ وَصَلَتْ دَعْوَةُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَع ، عَرَفَ النَّاسُ طَبِيعَةَ الإِسْلامِ وَحَقِيقَتَهُ ، فَهُوَ دِينٌ لَهُ رُؤْيَتُهُ الْوَاضِحَةُ فِي



كُلِّ أُمُورِ الْحَيَـاةِ ، لا يَعْرِفُ الالْتِواءَ أَوِ الْمُخَادَعَةَ .

فَمُنْذُ اللَّحْظَةِ الأُولَى دَعَا الرَّسُولُ ﷺ النَّاسَ جَمِيعًا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَعَدَمِ الإِشْرَاكِ بِهِ ، وَخَاضَ الْحُرُوبَ ضِدَّ كُفَّارِ مَكَّةَ وَضِدَّ أَهْلِ الْكِتَابِ : الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ؛ لِكَيْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ .

وَإِذَا كَانَتْ مَعَارِكُهُ مَعَ الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ بِالسَّيْفِ وَالْحُرُوبِ ، فَإِنَّ مَعَارِكَهُ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ كَانَتْ بِالإِقْنَاعِ وَالْعَقْلِ وَالْمَنْطِقِ .

وَهَذِهِ الآيَاتُ إِحْدَى ثِمَارِ هَذِهِ الْمَعَارِكِ الَّتِى خَاضَهَا الرَّسُولُ ﷺ ضِدَّ أَهْلِ الْكِتَابِ .

فَقَدِ اجْتَمَعَ أَهْلُ نَجْرَانَ (بَلْدَةٌ بِالْيَمَنِ) وَقَرَّرُوا أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ فِى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَيُجَادِلُوهُ فِى بَعْضِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الَّتِى تَتَحَدَّثُ عَنِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ .

وَاخْتَارَ مَلِكُ نَجْرَانَ سِتِّينَ رَجُلاً ، كَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ أَشْرَافُهُمْ وَكِبَارُ عُلَمَائِهِمْ ، وَجَعَلَ عَلَى رَأْسِ هَؤُلاءِ ثَلاثَةً مِنْ كِبَارِ الرُّهْبَانِ وَالْعُلَمَاءِ ، هُمْ : الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ وَأَبُو حَارِثَةَ .

وَكَانَ أَبُو حَارِثَةَ هَذَا هُوَ أُسْقُفَهُمْ وَحَبْرَهُمْ وَإِمَامَهُمْ وَصَاحِبَ الْعِلْمِ الْغَزِيرِ ،

حَتَّى إِنَّ مُلُوكَ الرُّومِ قَدْ شَرَّفُوهُ وَمَوَّلُوهُ ، وَبَنَوْا لَهُ الْكَنَائِسَ لِعِلْمِهِ [illegible] اجْتِهَادِهِ ، كَمَا بَنَوْا لَهُ الْقُصُورَ وَمَنَحُوهُ الأَمْوَالَ وَالْهَدَايَا الثَّمِينَةَ .

وَاتَّجَهَ الْوَفْدُ الْمُكَوَّنُ مِنْ سِتِّينَ رَاكِبًا إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، وَذَهَبُوا إِلَى مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ ، حَيْثُ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يُصَلِّي الْعَصْرَ مَعَ أَصْحَابِهِ .

نَظَرَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى هَؤُلاءِ الرِّجَالِ فَأَدْهَشَهُمْ مَا يَرَوْنَ ، إِذْ كَانَ هَؤُلاءِ الرِّجَالُ يَرْتَدُونَ زِيًّا جَمِيلاً ، وَيَبْدُو عَلَيْهِمُ الاهْتِمَامُ الزَّائِدُ وَالْعِنَايَةُ الْفَائِقَةُ بِأَشْكَالِهِمْ ،

فَتَعَجَّبَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا :

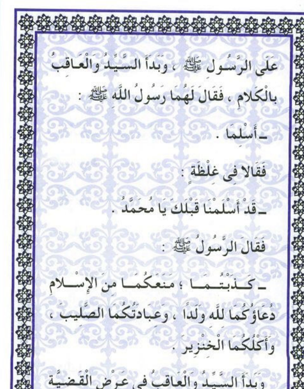
ـ إِنَّنَا مَا رَأَيْنَا وَفْدًا مِثْلَهُمْ فِى جَمَالِ الشَّكْلِ أَوْ نَظَافَةِ الثِّيَابِ !

وَنَظَرَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فَوَجَدُوهُمْ يُصَلُّونَ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ ، فَاتَّجَهُوا إِلَى الْمَشْرِقِ جِهَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ بَدَءُوا فِى الصَّلَاةِ .

وَرَأَى الرَّسُولُ ﷺ الدَّهْشَةَ فِى عُيُونِ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ :

ـ دَعُوهُمْ .

وَبَعْدَ أَنِ انْتَهَى الْوَفْدُ مِنْ صَلَاتِهِمْ أَقْبَلُوا



عَلَى الرَّسُولِ ﷺ ، وَبَدَأَ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ بِالْكَلامِ ، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

ـ أَسْلِمَا .

فَقَالا فِي غِلْظَةٍ :

ـ قَدْ أَسْلَمْنَا قَبْلَكَ يَا مُحَمَّدُ .

فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ :

ـ كَذَبْتُمَا ؛ مَنَعَكُمَا مِنَ الإِسْلامِ دُعَاؤُكُمَا لِلَّهِ وَلَدًا ، وَعِبَادَتُكُمَا الصَّلِيبَ ، وَأَكْلُكُمَا الْخِنْزِيرَ .

وَبَدَأَ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ فِي عَرْضِ الْقَضِيَّةِ الَّتِي أَتَيَا مِنْ أَجْلِهَا فَقَالا :



ـ إنْ لَمْ يَكُنْ عِيسَى وَلَداً للَّهِ ، فَمَنْ أَبُوهُ ؟

وَعِنْدَئِذٍ قَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ :

ـ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لا يَكُونُ وَلَدٌ إِلا وَهُوَ يُشْبِهُ أَبَاهُ ؟

فَقَالُوا جَمِيعًا :

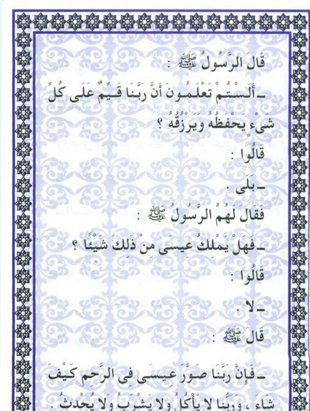
ـ بَلَى .

قَالَ ﷺ :

ـ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا حَيٌّ لا يَمُوتُ ، وَأَنَّ عِيسَى يَأْتِي عَلَيْهِ الْفَنَاءُ ؟

قَالُوا :

ـ بَلَى .



قَالَ الرَّسُولُ ﷺ :

ـ أَلَسْتُم تعلمُونَ أَنَّ رَبَّنَا قَيِّمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يحفظُهُ ويرزُقُهُ ؟

قَالُوا :

ـ بلَى .

فَقَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ :

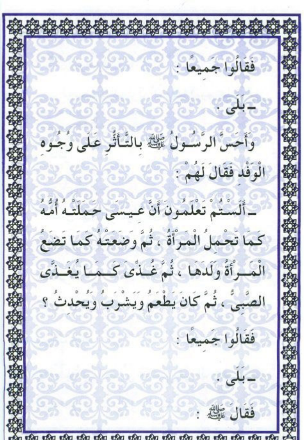
ـ فَهَل يَمْلِكُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ؟

قَالُوا :

ـ لا .

قَالَ ﷺ :

ـ فَإِنَّ رَبَّنَا صَوَّرَ عِيسَى فِي الرَّحِمِ كَيفَ شاءَ ، وَرَبَّنَا لا يَأْكُلُ ولا يَشْرَبُ وَلا يُحْدِثُ .



فقالُوا جَمِيعًا :

ـ بَلَى .

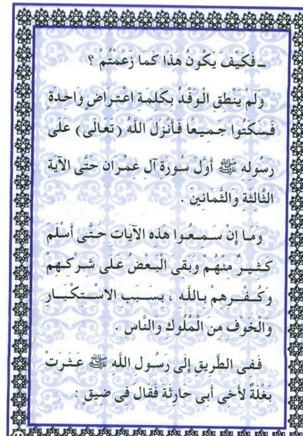
وأحَسَّ الرَّسُولُ ﷺ بالتَّأثُّرِ على وُجُوهِ الْوَفْدِ فقال لَهُمْ :

ـ أَلَسْتُمْ تعْلَمُونَ أنَّ عِيسَى حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كمَا تحْمِلُ الْمَرأةُ ، ثُمَّ وضَعَتْهُ كمَا تَضَعُ الْمَرْأةُ ولَدَهَا ، ثُمَّ غُذِّيَ كَمَا يُغَذَّى الصَّبِيُّ ، ثُمَّ كَانَ يَطْعَمُ ويَشْرَبُ ويُحْدِثُ ؟

فقَالُوا جَمِيعًا :

ـ بَلَى .

فَقَالَ ﷺ :

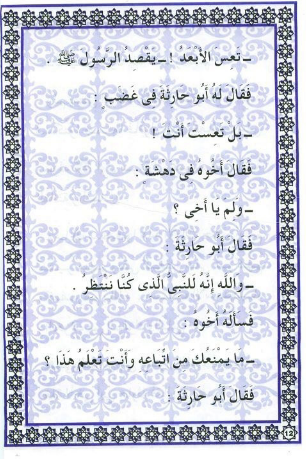


ـ فَكَيْفَ يَكُونُ هٰذا كَما زَعَمْتُمْ ؟

وَلَمْ يَنْطِقِ الْوَفْدُ بِكَلِمَةِ اعْتِراضٍ واحِدَةٍ فَسَكَتُوا جَميعًا فَأَنْزَلَ اللّٰهُ (تَعالَى) عَلَى رَسُولِهِ ﷺ أَوَّلَ سُورَةِ آلِ عِمْرانَ حَتَّى الآيَةِ الثَّالِثَةِ وَالثَّمانِينَ .

وَما إِنْ سَمِعُوا هٰذِهِ الآياتِ حَتَّى أَسْلَمَ كَثيرٌ مِنْهُمْ وَبَقِيَ الْبَعْضُ عَلَى شِرْكِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِاللّٰهِ ، بِسَبَبِ الاسْتِكْبارِ وَالْخَوْفِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالنَّاسِ .

فَفِي الطَّريقِ إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ عَثَرَتْ بَغْلَةٌ لأَخِي أَبي حارِثَةَ فَقالَ في ضيقٍ :



ـ تَعِسَ الأَبْعَدُ ! ـ يقصدُ الرَّسولَ ﷺ .

فقَالَ لهُ أبو حارثةَ في غضبٍ :

ـ بَلْ تعسْتَ أنْتَ !

فقالَ أخُوهُ في دَهْشةٍ :

ـ ولِمَ يا أَخِي ؟

فقَالَ أَبُو حَارِثةَ :

ـ واللّهِ إنَّهُ للنّبيُّ الّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُ .

فَسأَلهُ أَخُوهُ :

ـ مَا يَمْنَعُكَ مِنَ اتِّبَاعِه وأَنْتَ تَعْلَمُ هذَا ؟

فقَالَ أَبُو حَارِثَةَ :

ـ ألا تَرَى مَـا صَنَعَـهُ بِنَا قَـوْمُنَا ؟ لَقَـدْ شَرَّفُونَا وَأَكْرَمُونَا وَمَنَحُونَا الأَمْوَالَ وَبَنَوْا لَنَا الْقُصُورَ ، فَلَوْ خَالَفْنَاهُمْ فِيمَا يَعْتَقِدُونَ لأَخَذُوا مِنَّا كُلَّ ذَلِكَ .

وَصَـدَّقَ أَخُوهُ عَلَى كَـلامِـهِ وَوَافَـقَـهُ عَلَى ذَلِكَ ، لَكِنَّهُ أَسْلَمَ بَعْدَ فَـتْـرَةٍ وَشَـرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ .

إِنَّ سُورَةَ آلِ عِـمْـرَانَ لَهَا فَـضْـلٌ كَـبِـيـرٌ وَثَوَابٌ عَظِيمٌ لِمَنْ يَقْرَؤُهَا ؛ لأَنَّهَا احْتَوَتْ عَلَى التَّوْحِـيـدِ الْخَـالِصِ لِلَّهِ (سُـبْـحَـانَهُ وَتَعَالَى) ، وَرَدَّتْ عَلَى مَزَاعِمِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

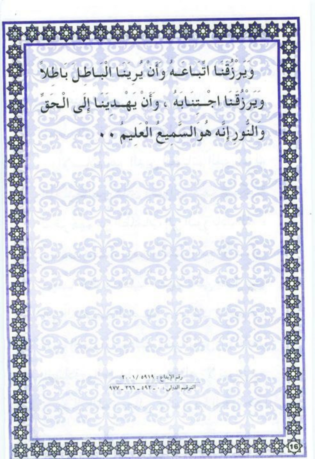
«اقْرَءُوا الْقُرآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ : الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ ، فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَو كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ» [رواه مسلم]

إِنَّ الإِسْلَامَ وَاضِحٌ وُضُوحَ الشَّمْسِ بَلْ أَشَدَّ وُضُوحًا ، وَهُوَ دِينٌ بَسِيطٌ لا تَعْقِيدَ فِيهِ يَقُومُ عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ لِلَّهِ

(تَعَالَى) وَتَنْزِيهِهِ عَنْ كُلِّ مَا لا يَلِيقُ بِهِ ، وَهُوَ عِنْدَمَا يُجَادِلُ فَإِنَّمَا يُجَادِلُ مِنْ مَنْطِقِ الْحَقِّ وَالْقُوَّةِ ، كَمَا يُجَادِلُ فِي لِينٍ .

وَالإِسْلامُ هُوَ الدِّينُ الْخَاتَمُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ لِلْعَالَمِينَ هُدًى وَنُورًا وَرَحْمَةً وَسَكِينَةً لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ اللَّهِ ؛ وَلِذَلِكَ نَجِدُهُ يُؤْمِنُ بِالْحِوَارِ مَعَ الآخَرِينَ مَهْمَا كَانَ مُخْتَلِفًا مَعَهُمْ لِكَيْ يَصِلَ بِهِمْ إِلَى الْحَقِيقَةِ النَّاصِعَةِ ؛ وَبِذَلِكَ نَتَعَلَّمُ مِنْهُ أَدَبَ الْحِوَارِ مَعَ الْقُوَّةِ فِي الْحَقِّ ، وَالإِيمَانَ الصَّادِقَ وَالْعَقِيدَةَ الرَّاسِخَةَ الَّتِي لا تَتَزَعْزَعُ .

نَسْأَلُ اللَّهَ (تَعَالَى) أَنْ يُرِيَنَا الْحَقَّ حَقًّا



وَيَرْزُقَنَا اتِّبَاعَهُ وَأَنْ يُرِيَنَا الْبَاطِلَ بَاطِلاً
وَيَرْزُقَنَا اجْتِنَابَهُ ، وَأَنْ يَهْدِيَنَا إِلَى الْحَقِّ
وَالنُّورِ إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . .

رقم الإيداع : ٥٩١٩ /١ - ٢٠٠
الترقيم الدولي : ٠ - ٥٩٢ - ٣٦٦ - ٩٧٧